# أفكـــــار اللاعقلانيـــة..وسيكولوجيـــا الغالـــب والمغلـــوب

http://www.arabpsynet.com/Documents/Docj41QassimPsyVictors&Losers.pdf

أ.د. قاســـــم حسيـــن صالـــح
مؤســـس ورئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

يقدم لنا تتابع الأحداث،في العراق والبلدان العربية،أدلة تقنعنا نحن المهتمين بعلم النفس السياسي بأن السياسيّن تتحكم بهم أفكار غير عقلانية..اخطرها فكرة (الغالب والملغوب)..بمعنى أن التنافس او الصراع السياسي يجب ان ينتهي (بانتصارك) وهزيمة خصمك. فما حصل بسببهم من أحداث تراجيدية اودت بحياة مئات الألاف من الضحايا،في العراق فقط، وما نجم عن افعالهم من حياة بائسة ودمار ورعب يومي..كان سببه اعتقاد الأطراف المتصارعة بأن العنف (يجب )أن يستمر الى أن يستسلم الطرف الآخر..او سحقه لأنه يتحول عندهم الى عدو.

يقدم لنا تتابع الأحداث،في العراق والبلدان العربية،أدلة تقنعنا نحن المهتمين بعلم النفس السياسي بأن السياسيّن تتحكم بهم أفكار غير عقلانية..اخطرها فكرة (الغالب والملغوب)..بمعنى أن التنافس او الصراع السياسي يجب ان ينتهي (بانتصارك) وهزيمة خصمك

وهذا الاعتقاد هو في حقيقته وهم ( illusion)يفضي الى فكرة غير عقلانية..خلاصتها:ان مواصلة العنف سيجبر الطرف الآخر على الاذعان له والقضاء على من يصفه بأنه مصدر الشرّ. وبما أن كل طرف يرى نفسه أنه يمثّل (الخير) ويرى في الآخر أنه مصدر (الشرّ)، فان الحقيقة العقلانية المؤكدة هي ان العنف بينهم سيستمر الى ما لا نهاية..وهذا ما حصل بعد التغيير في العراق وبعد ثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا.

هذا الاعتقاد هو في حقيقته وهم ( illusion)يفضي الى فكرة غير عقلانية..خلاصتها:ان مواصلة العنف سيجبر الطرف الآخر على الاذعان له والقضاء على من يصفه بأنه مصدر الشرّ

لنتوقف عند معنى (الأفكار اللاعقلانية)..ولنبدأها بمقولة جميلة لفيلسوف ايطالي اسمه ماركوس اوريليوس تقول:(ان حياتنا من صنع افكارنا)..ومقولة جميلة ايضا لشكسبير :(ليس هنالك من شيء حسن او شيء سيء..ولكن التفكير هو الذي يجعله كذلك).وعلى رأي عالم النفس الامريكي (بيك) فان انفعالات وسلوكيات الفرد تتحدد بناءا على طريقة تفكيره ووجهة نظره في الحياة،وأن نظرته للعالم تبنى على المعرفة والافتراضات التي تتكون لديه نتيجة الخبرات السابقة.

وبما أن كل طرف يرى نفسه أنه يمثّل (الخير) ويرى في الآخر أنه مصدر (الشرّ)، فان الحقيقة العقلانية المؤكدة هي ان العنف بينهم سيستمر الى ما لا نهاية.

وتشكل الأفكار اللاعقلانية أهم الأسباب التي تدفع السياسيين العرب، في السلطة تحديدا، الى انتاج الأزمات والادمان على انتاجها لاسيما في الصراعات الداخلية التي يقدح زنادها من بيدهم الأمر بين القبائل او المذاهب او الطوائف او الكتل السياسية التي حدثت في العراق وقي بلدان الربيع العربي بعد ان ضعفت هيبة الدولة..ومعروف سيكولوجيا ان ضعف هيبة الدولة وانحسار الأمن فيها وغياب سلطة القانون يؤدي الى نشوب الصراعات بين مكونات

ليس هنالك من شيء حسن

الشعب على اساس القومية والدين والمذهب كما هو حصل ويحصل في العراق..فضلا عن الحركات الاسلامية بكل مسمياتها التي تؤمن بافكار لاعقلانية وتجاهد نحو جعلها واقعا عقلانيا.

وللسياسيين،الذين لا يقرأون ما يكتبه علماء النفس والاجتماع(بالواقع ..يخشونهم لأنهم يكشفون لهم حقيقتهم)،نقول:ان نوعية الأفكار التي يحملها الفرد هي التي تحدد نوعية سلوكه..بمعنى ان اختلاف الناس في سلوكهم راجع الى اختلافهم فيما يحملونه من أفكار.ولنأخذ مثلا..الارهابي،فهو يحمل فكرة انه اذا فجّر نفسه فانه يكون شهيدا وسيلتقي بالنبي في الجنة التي فيها حور العين..وهي فكرة غير عقلانية،لا من حيث علاقتها باليوم الآخر وانما من حيث ان النبي والدين يعدّان من قتل نفسا بلا سبب فانه يكون كمن قد قتل الناس جميعا..فكيف بالارهابي الذي يقتل ابرياء بينهم اطفال؟!. وقس على ذلك الكثير من الأفكار غير العقلانية..التي تختلف من حيث حدتها وخطورتها حين تصبح مرضا نفسيا او عقليا..مثال ذلك:ان تسيطر على الفرد فكرة ان امه تريد ان تضع السم له في الأكل..وهذه حدثت فعلا..أو ان زملاءه اعضاء الهيأة التدريسية يريدون ان يكيدوا له..وهذه ايضا حدثت فعلا..وانتهت الحالتان بقتل الأم وعدد من الزملاء!

والواقع ان غالبية السياسيين، في عراق ما بعد التغيير وبلدان الربيع العربي، تتحكم بهم افكار غير عقلانية من هذا القبيل. ولهذا علاقة بنوعية الخبرة..فتاريخنا العراقي ،السياسي والاجتماعي بشكل خاص، صاغ تفكيرنا بطريقة صرنا نفهم فيه الصراع على أنه حالة بين ان تكون او لا تكون..بين أن تبقى أو تفنى!..وهذه ناجمة ،في واحد من أهم أسبابها،عن ان جيناتنا الوراثية تشفرت فيها (سيكولوجيا الغالب والمغلوب)من زمن اسلافنا قبل الاسلام يوم كانت العصبية القبلية قائمة على هذه السيكلوجيا ،وتعمقت اكثر لدى من استلم السلطة على مدى ألف واربعمائة سنة..وصارت اكثر حدّة ،فبعد ان كانت بين قبيلة وقبيلة اصبحت فيما بعد بين من يستلم سلطة مصحوبة بثروة واعتبار وبين خصوم كثر ،حولت عقدة (الغالب والمغلوب) الى برانويا تقفل نوافذ التفكير العقلاني في التفاوض والحوار وتوجّه العقل نحو نافذة الأفكار اللاعقلانية.

ان هذا التشخيص ليس اعتباطيا بل مستند الى النظرية التطورية التي ترى ان السلوك الذي يتكرر عبر الزمن يجري له تشفير في الجينات وينتقل عبر الاجيال..ولك ان ترى ذلك فيما حدث ويحدث في العراق وبلدان الربيع العربي..الذين تتحكم بهم سيكولوجيا الغالب والمغلوب..وتدرك ايضا ان حدتها تختلف باختلاف تاريخ كارثية احداثها..فهي في تونس مثلا أقل حدة من العراق الذي ينفرد تاريخه بالكوارث والفواجع.

او شيء سيء..ولكن التفكير هو الذي يجعله كذلك(لشكسبير ).

فان انفعالات وسلوكيات الفرد تتحدد بناءا على طريقة تفكيره ووجهة نظره في الحياة،وأن نظرته للعالم تبنى على المعرفة والافتراضات التي تتكون لديه نتيجة الخبرات السابقة(.بيك)

وتشكل الأفكار اللاعقلانية أهم الأسباب التي تدفع السياسيين العرب، في السلطة تحديدا، الى انتاج الأزمات والادمان على انتاجها لاسيما في الصراعات الداخلية التي يقدح زنادها من بيدهم الأمر بين القبائل او المذاهب او الطوائف او الكتل السياسية

ومعروف سيكولوجيا ان ضعف هيبة الدولة وانحسار الأمن فيها وغياب سلطة القانون يؤدي الى نشوب الصراعات بين مكونات الشعب على اساس القومية والدين والمذهب

ان نوعية الأفكار التي يحملها الفرد هي التي تحدد نوعية سلوكه..بمعنى

ان اختلاف الناس في سلوكهم راجع الى اختلافهم فيما يحملونه من أفكار

خذ الوضع الآن في العراق قبيل الانتخابات ،فلقد تحول اخوان الأمس الذين كانوا في تحالف او ائتلاف واحد الى فرقاء متخاصمين كل واحد يكيد للآخر..مدفوعا بسيكولوجيا الغالب والمغلوب التي تجبر كل طرف على أن يتعامل مع الطرف الآخر بأسلوب حذر وتأويلي..وتلك محنة الحكومة ..انها مصابة ببرانويا..أزمنت،عبر عشر سنوات، فصار علاجها مستعصيا.

ان جيناتنا الوراثية تشفرت فيها (سيكولوجيا الغالب والمغلوب)من زمن اسلافنا قبل الاسلام يوم كانت العصبية القبلية قائمة على هذه السيكولوجيا ،وتعمقت اكثر لدى من استلم السلطة على مدى ألف واربعمائة سنة..وصارت اكثر حدّة

ليس هذا فقط بل ان هنالك اعادة انتاج صورة النظام الدكتاتوري في جلباب ديمقراطي.فالحزب الحاكم في السلطة الآن تتحكم به فكرة انه اذا خسر الانتخابات وعهد البرلمان القادم برئاسة الوزراء في الحكومة العراقية المقبلة لآخر من حزب آخر فانه ستجري له تصفية كالتي جرت لحزب البعث،حتى لو كان رئيس الوزراء هذا من نفس طائفته..بل انه سيشيع بين منتسبيه والمتعاطفين معه والطائفيين بـــ (أننا اذا خسرنا راح تصير دمايات)..وهذه افكار غير عقلانية لأن أهم مبدأ في النظام الديمقراطي هو تبادل السلطة سلميا.

ان السلوك الذي يتكرر عبر الزمن يجري له تشفير في الجينات وينتقل عبر الاجيال

وليس بمستبعد (أن تصير دمايات)..لأن الشعور بالحيف او الاضطهاد او الظلم الذي اصاب الخصوم قد يدفعهم الى ذلك..ولأن السياسة عليها اللعنة جعلت العراقيين يستطعمون أخذ الثأر من الخصوم.وصار الحال ينذر بخطر أبشع شرّا ان الذين كانوا بالأمس متحالفين تحولوا الآن الى خصوم حاقدين.فما حصل في يومي 10 و11 آذار 2014 من تظاهرات وتبادل ألفاظ نابية وأوصاف مخجلة تحط من قيمة رموز سياسية ودينية ،تشير هذه المرّة الى انها ستكون (كسر عظم) وانهاء علاقة واعلان خصومة شرسة بين اقوى كتلتين :دولة القانون والأحرار،ستفتح باب الشر وتعلن عن اصطفافات جديدة تتحكم بها افكار لا عقلانية لأشخاص وقيادات مأزومة نفسيا.

ونصيحة تبرأ الذمة:

اننا اذا لم ننظف رؤوسنا من الأفكار اللاعقلانية،ونكع جموحنا بشدّ لجام سيكولوجيا الغالب والمغلوب..ونجنح الى التهدئة والتبصير..فانها (تصير دمايات فعلا)..تمتزج فيها دماء كل العراقيين.

اننا اذا لم ننظف رؤوسنا من الأفكار اللاعقلانية،ونكع جموحنا بشدّ لجام سيكولوجيا الغالب والمغلوب..ونجنح الى التهدئة والتبصير..فانها (تصير دمايات فعلا)..تمتزج فيها دماء كل العراقيين.

Prof.Dr. Qassim Hussein Salih

Head of Iraqi Psychological Association

## دليـل اصـــدارات الشبكـــة

دليل المستجدات
www.arabpsynet.com/Documents/DocIndexAr.htm

دليل المجلة العربية للعلوم النفسية
www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

دليل سلسلة الكتاب الإلكتروني
www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

دليل الأبحاث والدراسات في العلوم النفسية
www.arabpsynet.com/Archives/OP/IndexPAar.htm

دليل المعجم النفسي العربي
www.arabpsynet.com/HomePage/DictAr3.htm

دليل يوميات الانسان و التطور
(بروفسور يحيى الرخاوي)
www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** ***

ربيـــــع 2014: فصل الاصـــــــدارات المكتبية الطنفسيـــــــة و العلمنفسيـــــــة العربـــيـــة

نحو اثراء قاعدة بيانات الاصـــــــدارات المكتبية الطنفسيـــــــة و العلمنفسيـــــــة العربية

### قاعدة بيانات الاصـــدارات المكتبية الطنفسيـــة و العلمنفسيـــة العربية بالشبكة

البحث في قاعـــدة بيانـــات الاصدارات النفسية بالشبكة

http://www.arabpsynet.com/book/defaultWord.asp

أضـــف فهرس و ملخص كتابك الـــى قاعـــدة البيانـــات

http://www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

أرسل كتابـــــــك الى مكتبة شبكة العلوم النفسية العربية

arabpsynet@gmail.com

### FACEBOOK

https://www.facebook.com/notes/arabpsynet-mails/592379557511822

### سلسلـــــــة "الكتـــــاب النفســـي العربـــــي" للشبكـــــــة

تحميل الإصدارات السابقة

" دليل الكتاب النفسي العربي للشبكة "

INDEX APN eBook

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

للمشاركة في اصدارات الكتاب النفسي العربي للشبكة

ترسل نسخة الكترونية من الإصدار المقترح على بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

**facebook**

*https://www.facebook.com/notes/arabpsynet-mails/508821295867649*